

حديث الرئيس محمد أنور السادات

لمجلة أكتوبر

في ١٨ فبراير ١٩٧٨

سؤال : لقد حدث شئ من الانزعاج في الشرق الاوسط بسبب ما أعلنته امريكا عن تسليحها لمصر مع أن نوعية السلاح الذي وعدت به امريكا لا يرقى الي مستوي ما تعطيه لاسرائيل بغير حساب مع أن السلاح السوفيتي يتدفق علي المنطقة كلها فما هو تفسيرك لهذا الانزعاج من جانب اسرائيل أو من جانب بعض الدول العربية ؟ وهل عدم تسليح مصر وتعميم الحظر عليها هو الشئ الذي يبعث علي الطمأنينة عند الأعداء وبعض الاشقاء الذين لم يصبحوا أصدقاء ... ألا تري سيادتكم أن هذا شئ غريب حقا ؟

الرئيس : إن الامر يبدو غريبا فعلا .. ولكنه يبدو فقط . ولكن هذا الذي نراه اليوم له أساس من التاريخ البعيد والقريب وأنا أجد لإسرائيل العذر في أن تنزعج . فهي تريد ان تكون الدولة الأقوي في المنطقة وأن تظل بهذه القوة مصدرا للخوف في المنطقة وخوفها وعدم شعورها بالأمان الطويل هو الذي يحملها أن تتسلح من أصابع القدم الي آخر شعرة في الرأس ، هذا مفهوم واعرفه جيدا ، ومفهوم أيضا أنها بسبب هذا الخوف الذي دفعها الي التسلح فإنها تكون مصدرا للتخويف أيضا فإذا أخافت جيرانها ظلت في موقعها الذي تزايدت مساحته حربا بعد حرب

ولكني أريد أن اعود الي الأسباب العميقة القديمة .. أريد أن أقوم بتأصيل هذا الذي نراه اليوم ومهما سردت من أحداث ووقائع مأخوذة كلها مما يقوله اليهود الذين جاءوا الي فلسطين أو الذين قامت بهم وعلي اسلحتهم دولة اسرائيل فإنني استمد هذا كله من كتبهم

ومن خططهم وهذا معروف للعالم كله ولكني سوف اربط ذلك ربطا منطقيًا وهو ما لا يبدو واضحًا عند العرب أو عند الأمريكيان انفسهم ويحاول الاسرائيليون أن يقوموا بتعمية عامة لجذور هذه الحقائق . أو الخطة المحبوكة التي وضعوها في أواخر القرن التاسع عشر ويطبقونها حرفيا حتي اليوم

سؤال : استأذن قبل أن تعرض لهذه الخطة المحبوكة التي وضعها اليهود فأقول .. إن اليهود يغضبون اذا قيل إن لهم خطة وأنهم طبقوها حرفيا ، والذي يغضبهم هو نفس الشئ الذي يرضي غرورهم ، وهو أن لهم هذه القدرة الهائلة علي تطبيق خططهم في كل الظروف ومهما كانت الظروف ، وكان العالم من أوله لآخره لا يقاومهم ولا يمارئهم .. وهم يغضبون من ذلك لا تواضعا .. فهم بتكوينهم في غاية الغرور والغطرسة وانما يغضبهم أن يظهروا للعالم علي أنهم اقوياء وهذا يبطل حجتهم الآخري من أنهم مساكين وأنهم أقلية مضطهدة وأنهم يستحقون الشفقة وأن العالم كله يجب أن يعطف عليهم بالمال والعتاد . لأن العرب أخيرا يريدون أن يبتلعوهم ، وأنهم فقط يريدون أن يدافعوا عن انفسهم وعن حقهم في الحياة ، ككل مخلوقات الله .. الي آخر ما يزعمون ؟

الرئيس : إنهم أنكياء ويعرفون جيدا أن تماسكهم وتفاهمهم التام ووضوح الهدف عندهم يجعلهم أقوياء ثم أن اصرارهم علي أهدافهم وتفرغهم لدراسة خصومهم ومعرفتهم لاتجاه الريح شرقا وغربا ودرائتهم بنقط الضعف ومصادر القوة قد جعلت إدراكهم لظروف المنطقة واضحا وقويا

وشئ آخر لا يقل عن هذا اهمية وهو إدراكهم لطبيعة العرب أو الصفات العربية ، أو المزاج العربي أو الخلق العربي فهم يعرفون أن العرب بتكوينهم لا يتفقون كثيرا واذا اتفقوا اليوم فلكي يختلفوا غدا ولذلك فقد ادركوا أنه لا بد أن يدخل في حسابهم دائما أن

العرب مختلفون أو من الضروري أن يظلوا كذلك ، ففي اختلاف العرب إضعاف لهم وفي تضامن اليهود قوة لهم ، لذلك كان اليهود حريصين في كل العصور علي أن يطبقوا مبدأ انجليزيا قديما هو تفريق الناس لكي يتسلطوا عليهم ، وقد نجحوا في ذلك.. وأسوأ من ذلك قد عرفه اليهود اللذين عاشوا في فلسطين، فقد عرفوا أنه لا أحد من العرب لا يمكن شراؤه كل واحد له ثمن ، ومبدأ آخر اكتشفوه أيضا أنه لا يوجد عربي لا يمكن شراؤه هو والارض التي يقف عليها ولذلك فقد باعت عائلات عربية كثيرة ارضها ليهود فلسطين وتسلم اليهود الي فلسطين عن طريق شراء الأرض وبناء المستعمرات اليهودية التي كانت زراعية أول الامر ثم صناعية ثم عسكرية وكل هذا معروف في التاريخ

أما الخطة المحبوكة عند اليهود فهي التي تحولت الي نظرية بعد ذلك عند "بن جوريون" هي نظرية الأمن الاسرائيلي أي أن اسرائيل تستطيع أن تحقق لنفسها الأمن بأن تكون دولة وان تكون دولة معترفا بها ، وأن تكون محاطه بعرب ضعاف ، وأن تكون هي قوية .. أما كيف تكون قوية .. فلا بد إذن أن أعود الي بدايات الخطوط التاريخية التي تحولت فيما بعد إلي نسيج او مصيدة سياسية اقتصادية دينية عالمية في المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في " بان " بسويسرا في أغسطس سنة ١٨٩٧ وكان من المفروض أن يعقد في ميونيخ بألمانيا . في هذا المؤتمر أعلن الصحفي النمساوي "تيودور هرتزل " عبارته المشهورة إن الدولة اليهودية قد قامت وأنه لن تمضي سوي خمس سنوات أو خمسين عاما لتصبح هذه حقيقة ، وكانت نبوءة أو كان تصميمها وصل الي درجة النبوءة ، فقامت اسرائيل في الموعد الذي خططوا له ومن أهم مقررات هذا المؤتمر أن اليهود أو أن الصهيونية العالمية او الدولة اليهودية يجب أن تكون في حماية دولة عظمي ، أي أن تكون في حماية أعظم دولة في أي وقت أو بعبارة اخري .. لكي تكون اسرائيل الصغري دولة كبيرة يجب أن تستند الي ساعدي

وكتفي دولة عظمي في ذلك الوقت كانت الدولة العظمي هي ألمانيا وعلي رأسها القيصر " فيلهلم الثاني " " غليوم الثاني " في ذلك الوقت كانت المانيا قد اتخذت لها شعاراً توسعياً هو الزحف نحو الشرق ، وهنا تقدم اليهود ليؤكدوا للقيصر أن هذا ممكن عن طريق التجارة والمعاملات وفتح الأسواق والتسلل الي كل دول المنطقة ، من تركيا حتي الهند مارين ببغداد أو دمشق أو القدس حتي الخليج الفارسي . ولم تكن للخليج هذه الأهمية الخطيرة .. فالبتروول لم يكن قد اكتشفه احد بعد والتاريخ يعيد نفسه ، فقد طبق هتلر فيما بعد خطة وأحلام الامبراطور فيلهلم الثاني ، عندما زحف شرقا الي روسيا وشمال افريقيا حتي مصر ولكن الامبراطور فيلهلم الثاني رفض ما تقدم به اليهود فلم يكن يثق بهم ، ولذلك اتجهوا بسرعة الي السلطان عبد الحميد الثاني يعرضون عليه خدماتهم واستعدادهم لإعطائه المال وتسديد ديونه . فقد كانت تركيا هي الدولة التي تحتل الدول العربية واحتلالها قد استمر اربعة قرون حتي قضت علي كل خيرات الدول العربية ، فلم تعرف أسوأ من الاستعمار العثماني في كل العصور

وكان واضحا أن اليهود قد طلبوا مقابلا لهذه المساعدات بأن يعطيهم السلطان عبد الحميد الثاني فلسطين وطنا قوميا ، واختلف اليهود فيما بينهم حول الوطن القومي ، هل هو فلسطين بالذات او اي مكان علي سطح الارض ؟ ولكن بن جوريون قد أكمل بتخطيط وإصرار ما كان يحلم به اليهود الذين اجتمعوا في بال بسويسرا ، واتجه اليهود بعد الحرب العالمية الأولى الي بريطانيا العظمي وهي الدولة التي تألقت بعد الحرب ، وطلب اليهود ثمنا لاختراع المواد الكيماوية المهلكة التي قدمها حايم فايتسمان للجيش البريطاني ومن بين هذه الاختراعات الغازات السامة وطلب اليهود أن يكون الثمن وعدا بوطن قومي وهذا الوعد هو الذي دخل التاريخ تحت اسم وعد بلفور في سنة ١٩١٧ وقبل صدور هذا الوعد كان اليهود قد استعدوا جيدا لساعة قيام الدولة فاستعدوا لها بالارض التي اشتروها وبالمهاجرين الذين تسللوا الي

فلسطين سرا وعلنا ، واستعدوا لذلك بالسلح والعتاد ، واستعدوا لذلك كله بغزو العقول العربية ، وتفريق القيادات العربية ، وفي نفس الوقت بالتأثير علي بريطانيا العظمي

وقامت الدولة واعترفت بها امريكا وأعلن الرئيس ترومان في مذكراته بمنتهي الصراحة والوضوح أن في امريكا اصواتا لليهود في الانتخابات فهل للعرب اصوات ؟ والجواب طبعا لا .. ليست للعرب اصوات ، إذن لابد أن يشتري اصوات اليهود باعترافه بقيام دولتهم في اسرائيل واتجهت اسرائيل الي الارتباط بالدولة التي تألقت بعد الحرب العالمية الثانية وهي الولايات المتحدة الامريكية . أما المعني الذي أريد أن اصل إليه الآن فهو أن خطة اسرائيل هي أن ترتبط دائما بالدولة العظمي وبذلك تضمن حياتها وتضمن أمنها ايضا .. أو ما دامت قد ضمنت أمنها فقد ضمنت حياتها كذلك

وهذا هو جوهر نظرية الأمن الاسرائيلية التي وصفها بن جوريون ولا تزال اسرائيل تطبق هذا المخطط بمنتهي الدقة ولا يختلف بن جوريون عن مناحم بيجين رغم ما أصبح بينهما من خلافات حادة بعد ذلك إن اسرائيل لا تريد ان تكون لمصر أو أية دولة اخري أية صلة قوية بالولايات المتحدة وإنما يجب ان تحتكر اسرائيل هذه الصلة وحدها ولكن قد اشرت كثيرا الي أن هذه الصلة الخاصة جدا بين امريكا وبين اسرائيل ، لا اعتراض لي عليها فأنا اعرفها وأقدرها ولكني في نفس الوقت ادعو للسلام .. وهذا واضح وضوحا عالميا . عاطفيا وعمليا أيضا فكيف تساند امريكا اسرائيل وتغدق عليها السلاح بهذه الكثرة والوفرة ثم تساند دعوتي للسلام ، إن السلاح الكثير لدي اسرائيل هو الذي يغريها ويدفعها الي اللعب بالسلام والحرب ويستدرجها وهي معذورة الي التهديد

بالتأثر

والتخويف

وإذا كنت اعترف بهذه العلاقة الخاصة بين امريكا واسرائيل فإنني أيضا صديق لامريكا، فإذا لم تكن امريكا قادرة علي العدل بين الأصدقاء ، فلا أقل من أن توازن بين

الطرفين ، وألا تقوم بتصفيية الموقف وفي نفس الوقت فليس معقولا ولا مقبولا ان تتضمن امريكا الي روسيا تفرض هي الآخري حظراً علي تسليح مصر

ثم ان هذه الطائرات " ف ٥ " التي سوف تتسلح بها مصر لا تقارن بما لدي إسرائيل او بما سوف تعطيه أمريكا لإسرائيل ، لأن هذه الطائرات من الدرجة العاشرة ، ولكن الذي أزعج إسرائيل هو أن يكون هناك اتصال بين مصر وامريكا وأن يصل هذا الاتصال الي حد تسليح مصر ولو عدنا الي قيام ثورة يوليو ، لوجدنا أن إسرائيل قد أزعجها اتصالنا بالسفارة الامريكية منذ اليوم الاول . فقد اتصلنا بالملحق العسكري الامريكي لنؤكد للولايات المتحدة أن ثورتنا داخلية . وفي الوقت الذي كان السفير الامريكي يدعونا فيه الي السهر كل ليلة كانت السفارة البريطانية تحاول أن تتصل بنا لعلها تعرف من الذين قاموا بالثورة ، ولم تفلح في ذلك الوقت ولما لاحظ بن جوريون أن هناك نوعا من الغزل بين مصر وامريكا ضايقه ذلك لنفس السبب الذي ذكرته، وخطط بن جوريون لافساد هذه العلاقة المبكرة بين مصر وأمريكا والتي أكمل إفسادها تماما وزير خارجية أمريكا فوستر دالاس وكذلك جونسون

ودبر بن جوريون الحادثة الشهيرة باسم " فضيحة لافون " وكان " بنحاس لافون " هذا وزيرا للدفاع الاسرائيلي فأرسل بن جوريون اثنين من العملاء اليهود لنسف المؤسسات الامريكية في مصر واعترف " لافون " بأنه لا يعلم عن هذا الحادث أي شئ واعتقل العميلان وانتحرا في السجن واضطر لافون أن يستقيل من جميع مناصبه الحكومية و الحزبية

سؤال : بمناسبة الحديث عن المخطط الواحد والمحبوك للصهيونية العالمية وأنهم جميعا لا يختلفون علي المبادئ إنما فقط علي التطبيق ، فان هناك حرصا عند الكتاب الاسرائيليين المعاصرين يؤكدون فيه أن هناك أوجه كثيرة للخلاف بينهم جميعا ، كأنهم

يؤكدون ان هناك نوعا من المرونة أو تمشيا مع المتغيرات الإقليمية والدولية فقد صدر في اسرائيل كتاب بعنوان " اسرائيليون وفلسطينيون .. تعايش سلمي وإلا " وهو أول كتاب صدر بعد مبادرتك للسلام ، في هذا الكتاب نقرأ عن أحد اليهود المتطرفين ولكنه في نفس الوقت يدعو للسلام والتعايش مع الفلسطينيين منذ خمسين عاما ، هذا الرجل يقول إن بن جريون هو صاحب العبارة المشهورة " لو خيروني بين السلام والأرض لاخترت السلام " وينقل أيضا عبارة اخري " لموشي ديان " يقول فيها " لو خيروني بين أرض بغير سلام وسلام بغير أرض لا اخترت الأرض بغير سلام " وفي نفس الوقت فإن "بيجين " يطلب السلام والأرض معا اي انه يطلب المستحيل ثم إن " ابا ابيان " في كتابه الاخير الذي أسماه " قصة حياتي " في الفصل الذي كتبه عن حرب اكتوبر يراجع كل القادة والساسة في اسرائيل وكأنه لا يوافق علي تشدد موشي ديان الذي أعلن قبل حرب اكتوبر أنه لا شئ اسمه فلسطين تماما كما قالت " جولدا مائير " ثم الفلسطينيين اذا ارادوا أن يكون لهم وطن فليذهبوا الي العراق او الاردن ... ألا تري سيادة الرئيس ان القيادة الاسرائيلية حريصة علي أن تبدو متضاربة متناقضة محيرة للعرب ؟ الرئيس : إن هذا يعود بنا الي صميم المخطط الذي وضعه بن جوريون لنظرية ألا تكون اسرائيل محدودة الحدود أي أن اسرائيل يجب أن تكون فضفاضة لا حدود ولا خريطة وانما عليها أن تترك أرضها بلا حدود قابلة للزيادة وليست قابلة للنقصان أما وجهة نظر بن جوريون فهي أنه اذا جعل الارض محددة فقد حصر نفسه وشعبه في أرض ضيقة واصبح في وسع أي أحد من جيرانه أن ينازعه علي الحدود او يطالبه بوضع تحديد للحدود ، ولكن ما دامت اسرائيل بلا خريطة فلا احد يعرف إن كانت اسرائيل تقف عند هذا الحد أو انها سوف تضيف اليه . وما دامت الدول العربية مختلفة وممزقة فلن تتفق علي مناقشة هذا الواقع الغامض وانما ستعرض اسرائيل علي العرب، أملا كاذبا " هذا الأمل الكاذب هو أن تعرض اسرائيل خريطتها لكي يعرف العرب ما

لها وما عليها . او أين تقف منهم . او علي اي أرض تقف قواتها ومستعمراتها ولذلك تضاربت عن عمد آراء الساسة الاسرائيليين في كل العصور تماما كما تعرض إسرائيل الف خريطة وتوزع هذه الخريطة في كل عواصم اسرائيل مشروعات متعددة للحل أو التسوية ، او كما عرضت اسرائيل وجهات نظر متضاربة لإقامة او لإزالة او استبقاء المستعمرات علي الأرض العربية المحتلة . وبن جوريون هو الذي قال أيضا أن كل أرض يقف عليها أي جندي اسرائيلي هي حدود لاسرائيل وهو نفس الشعار الذي اعلنته اوروبا كلها بعد اكتشاف كولمبس لأمريكا، فكل أرض يوضع عليها العلم فهي ملك للدولة صاحبة العلم

ومعني ذلك أن اسرائيل تحرص ألا تكون جافة فتكسر أو " لينه " فتعصر كما تقول الحكمة القديمة وإنما تعطي لنفسها لون الزئبق وخصائصه وانتشاره وصعوبة أن تمسك به ، والحكمة من ذلك ألا يقيد أحد حركتها علي أرض الغير

سؤال : لو كان بن جوريون حيا فهل كان في استطاعتك التوصل معه الي شئ أفضل؟

الرئيس : كان من الممكن التوصل الي شئ أفضل مما يمكن الوصول اليه في أية مفاوضات مع بيجين وحكومته

سؤال : في حديث لتليفزيون أمريكي - لم يذع بعد - سمعتك تقول إنه كان من الممكن الوصول الي شئ أفضل مع جولد مائير لو كانت لا تزال علي رأس الحكومة فما تفسيرك لذلك ؟

الرئيس : سئلت أكثر من مرة عن رأيي في السيدة جولدا مائير وقد كانت لي معها تجارب عند فك الاشتباك بعد حرب اكتوبر ، ولاحظت أنها سيدة قوية الشخصية وأنها

قادرة علي أن تتخذ القرار وأن تواجه الشعب وقد قابلتها في القدس وتحدثت اليها في الكنيسة وتأكد لي من ذلك أنها كانت تستطيع أن تذهب الي أبعد وأفضل مما ذهب اليه مناحم بيجين

سؤال : ان ليبيا ايضا قد انزعجت من تسليح أمريكا لمصر مع أن ليبيا لديها هي الاخري اكثر مما تستطيع أن تستوعب من السلاح السوفيتي المتطور جدا ، كما أن ليبيا ليست في حاجة الي شئ من ذلك كله فما الذي أغضب ليبيا أو ازعجها ؟
الرئيس : أن بينها وبين الاتحاد السوفيتي علاقة خاصة ايضا قد أدهشني أن يبعث القذافي الي مندوبه في الامم المتحدة ليحتج علي تسليح أمريكا لمصر كأن سلاحنا سيوجه ضد ليبيا او كأن مصر يجب أن تظل عارية من السلاح حتي يتفضل القذافي فيعطينا بعض مالدیه ، أو كأن مصر يجب أن تكون عاجزة عن الدفاع عن نفسها حتي يتفضل السوفيت فيعرضون علينا أسلحتهم المتخلفة بغير غيار، ولا أعرف بعد ذلك ما الذي يمكن أن نفعله بهذه الاسلحة المتواضعة التي سوف يتفضلون بها علينا - هذا ان فعلوا - ولا أضيف جديدا اذا عدت فذكرت أن رئيس وزراء روسيا كوسيجين عندما ذهب الي ليبيا فإنه قد اتخد صورة الجدة الغنية مع ابن البنت المدلل فكان يقول للقذافي انت تطلب دبابات ٦٢ لا سأعطيك دبابات ٧٢ ، انت تطلب طائرات كالتي في مصر سوف أعطيك طائرات أكثر تطوراً لم أعطيها لأحد بعيدة المدى لإخافة كل الدول الافريقية أطلب تجد كأننا أمام مشاهد من قصص ألف ليله وليله
اما سبب ذلك فهو بسيط جدا الحقد علي مصر لا شئ آخر غير ذلك ، وهي حكاية طويلة عريضة نحن جميعا نعرف التفاصيل الكثيرة عنها وهذا يؤكد ما قلته من أن القذافي مجنون وقد ثبت أخيرا طبيا وبصورة قاطعة أن الرجل مجنون ، بل أنه قد ذهب في جنونه أن أعلن مقاطعة ناقلات البترول التي تستخدم خط أنابيب شركة " سوميد" المصرية بين السويس والاسكندرية أي أن هذه الناقلات لن تزود بشئ مما تحتاج اليه

من موانئ ليبيا ، إنه يريد - بسذاجته - أن يفرض حضرا علي مصر ولكن الذي قرره
وتصوره لن يؤثر فينا ولن يهز لنا شعره

فبعد محاولاته اليائسة في مصر وحولها من الداخل والخارج وبعد أن انفق مئات
الملايين من الدولارات وبعد أن أرسل العبوات الناسفة والعملاء ، لم يهز مصر كما
تمني ولا زرع بنيانها كما قالوا له ، ولا يزال يعيش هو والذين وراءه علي هذا الأمل
المجنون. ولكن لن يتحقق له أو السوفيت شئ من ذلك بفضل الله وقوة شعبنا وعدالة
قضيتنا وأمل مئات الملايين في العالم بأن يتحقق السلام في الشرق الاوسط بمبادرة
مصر التاريخية

والسوفيت يرددون في كل مناسبة أن لدي مصر ٣٥٠ طائرة وأن هذه الطائرات نائمة
علي الأرض وأنها لن تطير كأنها طيور قصت أجنحتها فتحولت من نسور الي دواجن .
ولكن الذين شاهدوا العرض العسكري في أكتوبر الماضي يعرفون أن كل هذه الطائرات
ارتفعت في الجو ولو كنت قد اعتمدت علي السوفيت كما خططوا لذلك لظلت طائراتنا
علي الأرض ، وتحت الأرض ، وانما اتجهت إلي الاصدقاء في الصين الشعبية وفي
العراق وفي امريكا وفي بريطانيا ، فقامت امريكا وبريطانيا بإجراء العمرة للطائرات
اما الصين فقدمت لنا موتورات الميج ١٧ والعراق قدم لنا قطع الغيار فشكراً للسوفيت
أن كشفوا لنا عن غير قصد عن أصدقاء جدد في الشرق والغرب